وهنا نواجه معضلة حقيقية... فعرفات فردي يذكي فرديته أن فتح أقوى منا علاوة على صلاحيته التي تشمل فيما تشمل القرار المالي بل الصندوق القومي، وندرة الأصوات التي تعارضه داخل فتح إذا استثنينا الشهيد أبا جهاد وصلاح خلف أحياناً ومن قبل الشهيد أبو علي إياد الذي سقط ببسالة في أحراش جرش وعجلون...

وبصراحة، إن مخاوفنا، في عد تصاعدي، على الانتفاض الشعبي الكاسح الذي يجتاح الوطن المحتل ٦٧ بطوله وعرضه وكل زاوية وزقاق فيه. إننا نسمع لأول مرة بأسماء عشرات وعشرات القرى، ورغم مبالغات إذاعة القدس، والمبالغة صفة فلسطينية تحاول استعواض والتغلب على ذاكرة الهزيمة التي تراكمت عقوداً وعقوداً، بل إن العرب بمجملهم لم تقم لهم قائمة بعد انهيار العهد العباسي وتفكيك الإمبراطورية، وبعد أن غزونا أوروبا، والذين ينحازون لحق تقرير المصير أمثالنا لا ينحازون لأي غزو مهما كان، قامت أوروبا بغزونا مرة في عهد الفرنجة (الغزو الصليبي) الذي دحر معظمه صلاح الدين، وعاد واستوطن البلاد بعد التنازع بين شقيق وأبناء صلاح الدين إلى درجة أن يستقووا بالأجنبي ضد بعضهم البعض، بل تكرر ذلك في الأندلس في أواخر العهد العربي، ومرة أخرى في العهد العثماني الذي استمر أربعة قرون إذ سيطروا على العرب وزادوهم تخلفاً وجهلاً بعد أن أهملوا التعليم والزراعة، أي العقل الاقتصادي في ذلك الوقت. هذا إذا اعتبرنا تركيا أوروبية، بصرف النظر عن التخريجات الدينية، وأخيراً الاستعمار الأوروبي الحديث الرأسمالي في القرنين التاسع عشر والعشرين وأحد نتائجه الغزو الصهيوني...

مرارة تصل إلى حد نزف الدم من الروح والفؤاد والجسد، أن نخشى على الانتفاضة، من أهل البيت»... هل قرأت كتاب «أهل البيت» لخالد محمد خالد... لقد فرم، نعم فرم، معاوية أبناء علي وعائلته... يا لقباحتنا عندما نشهر السيوف في وجوه بعضنا بعضاً، واليوم نخشى على الانتفاضة من «سيوفنا» ومن رصاص العدو!!

كتب الحكيم مرة «للداخل» بما معناه «لو أبدت القيادة البرجوازية اليمينية مرونة تاكتيكية فهذا يمكن أن نتفهمه ولكن مرونتها تتحول لتنازلات، وهنا الخطورة». وهؤلاء الذين يحجون لتونس بمعرفة الاحتلال ودون أن يمنعهم وبعض المستشارين هم خطر على تفكير عرفات، يغذي هذا الخطر الوفود الأجنبية بنعومة ملمسها وعبارات التضخيم التي تكيلها عليه، وأحياناً تخويفه «السوفييت ينهارون، العراق في الطريق لمتحف التاريخ... الأرمن بددوا... أنقذ نفسك...»

حتى اللحظة، الانتفاضة تحت السيطرة، وهي قادرة على الثبات والاستمرار ولكنها كأية وحدة